



# دراسات

١٦٣

- ❖ الرسول المبشر في الأناجيل
- ❖ الهدى النبوي في الرفق بالحيوانات
- ❖ الحكم الإلهية في تعدد زوجات النبي
- ❖ المعجزات النبوية
- ❖ البيئة : نحو تطبيق النظرية النبوية..

## الرسول المبشر في الأناجيل

د/ سيد علي الفيضي

أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء والمرسلين من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم إلى العالم لهداية الناس إلى سواء السبيل، ولإزكيهم من ورطات الذنوب والضلالة، وليجعل كلمة الله هي العليا، ولتنفيذ أوامر الله ونواهيه، ولإقامة أحكام دين الإسلام في الدنيا. وفضل الله بعضهم على بعض كما أشار إليه القرآن الكريم "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض". واختار منهم أولو العزم وشرفهم على غيرهم. وأعطى لبعضهم الكتب والصحف مساندة لدعوتهم.

وقد أرسل إليه عيسى عليه السلام رسولا إلى بني إسرائيل لا إلى العالم اجمع في شأن النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا نفهم من قول الله سبحانه وتعالى في سورة الصف: "يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم" ونجد هذه الحقيقة من العهد الجديد أيضا (New Testament) يقول متى (Mathew):

"These twelve Jesus sent out with the following instruction. Go no where among the Gentiles and enter no to on of the Samaritans but go rather to the lost sheep of the house of Israel" (Mathew 10-5-6)

ويأمر اليسوع عيسى ابن مريم لتلاميذه والحواريين عند إرسالهم للدعوة أن يذهبوا إلى بني إسرائيل فقط الذين ليس لهم هداية. وهذا يدل على أن دعوته منحصرة في بني إسرائيل فقط، خلافا للدعوى الباطلة للنصارى. وأعطاه الله الإنجيل، ولكن لا نجدها الآن على صورته الأصلية، ووقع فيها التحريف والتبديل والتغيير. وقد دنسها الرهبان وقسيس النصارى، فحللوا حرامها وحرّموا حلالها.

### بشارات في العهد الجديد

الأناجيل التي نجدها الآن مشتمة على إنجيل متى، مرقا، لوقا، يوحنا، وأعمال الحواريين (Acts Apostles)، وبعض المقالات. وهذا هو العهد الجديد (New Testament) والإنجيل المقدس (Thettoby Bible) التي يؤمنها ويتبعها النصارى كتابا مقدسا لدينهم على ثلاثة أقسام

العهد القديم (Old Testament) والزبور (Psalm) والعهد الجديد (New Testament). ويدعي النصارى أن العهد القديم هو التوراة والعهد الجديد هو الإنجيل. ولكن هذه كلها صورة محرفة للأصل. ولا نجد الآن التوراة والزبور والإنجيل على صورتها الأصلية. ونرى في الكتب المقدسة، ولو كانت محرفة، بعض الحقائق والأمور التي تليق بعقيدة الإسلام وتناسب ببيان القرآن الكريم.

ومن هذه الأمور التي توافق ببيان القرآن الكريم بشارة عيسى عليه السلام بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم. نقرأ في القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام يبشر وينبأ بمجيء رسول اسمه أحمد. يقول الله سبحانه وتعالى في قرآنه المجيد: "وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين" (الصف - ٦) يقول عيسى عليه السلام لقومه إن دعوته منحصرة في بني إسرائيل وان مجيء مع التصديق بالتوراة والتبشير برسول اسمه أحمد.

يكتب عبد الله يوسف علي الذي ترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية في تفسير هذه الآية "Ahmad or Muhammad the praised one is almost a translation of the Greek word "pericytos" يعني ان اسم أحمد أو محمد معناهما الذي يحمى. وهذا أيضا ترجمة اللفظ الإغريقي فار قليطا. وإذا فحصنا النسخة القديمة وجدنا انه قد استخدم لفظ "فار قليطا" للإشارة إلى مجيء النبي صلى الله عليه وسلم. ولكن إذا قمتنا النسخات الجديدة المتنوعة للإنجيل وجدنا أن لفظ فار قليطا الذي بمعنى "محمد" قد حذفت وحرفت. واستخدم بدله المفردات المختلفة مثل بمعنى المسلى والمعز وAdvocate بمعنى الناصر و Spirit of truth بمعنى روح الحق. وهذه كلها تدخل فاحش من جهة الرهبان والقسيسين للنصارى.

نقرأ في إنجيل يوحنا (The Gospel According to John) هكذا "I still have many things to say but you cannot bear them now. When the spirit of truth comes he will guide you 'to you into all the truth for he will not speak on his own but will speak whatever he hears and he will declare to you the things that are to come'" (John 12-12-13)

وهذا جزء من خطبة الوداع لعيسى عليه السلام. وينصح عيسى عليه السلام لتلاميذه انه يروح إلى الله سبحانه وتعالى الذي أرسله إليهم. ولا يمكن لهم أن يروه بعد هذا. وإذا رحلت

إلى الإله يجيء النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين. وهو يدرس العالم حول العدل والذنب والحساب. ويتابع قوله ان له كثير من الأمور للالقاء إليهم ونصيحتهم. ولكن لا يقتدرون أن يتحملوا كلها. وإذا جاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسل رحمة للعالمين هو يهدي إلى الحق والصواب وسواء السبيل ولا يتكلم من عند نفسه شيء إلا بالسمع من الله سبحانه وتعالى بطريق الوحي وهو يخبر كما يقع في المستقبل. وهو أيضا يكرمني ويعظمني ويلقى الأمور متتابعاً لما قلت. وهذا حاصل المعنى لما قال في إنجيل يوحنا.

وفي إنجيل يوحنا وصف النبي صلى الله عليه وسلم في بابه السادس عشر انه "رحمة للعالمين". وقد ترجم هذا اللفظ في نسخة "King James Version" أي النسخة التي أعدت بأمر الملك جيمس هكذا "The prince of this world is judged". وهذه النسخة تعتبر نسخة موثوقة بين النصارى. وباقي النسخات للإنجيل تعطى ترجمة هذا اللفظ "The ruler of this world" وهذه كلها تشير أن الرسول المبشر في الإنجيل يكون بعثته رحمة للعالمين ورسولا للعالم أجمع.

وأكد عيسى عليه السلام هنا ان الرسول الذي سيجيء يكون ناصرا ومسلما (Comforter) وروحا للحق (Spirit of truth) فضلا انه يكون محمد (Paraclate). وقد أشرنا من قبل ان لفظ "فارقليطا" بمعنى "محمد" لأنه سئل عبد الوهاب النجار للمستشرق الإيطالي "كالوهلنو" الذي كان أستاذ اللغة العربية في جامعة "ترينا" والمعهد الاستشراقي في إيطاليا. ما معنى "فارقليطا" وأجاب ان معناه الذي له حمد كثير. وهذا يوافق لفظ أحمد ومحمد الذي ذكرنا في القرآن المجيد. وللأسف ان لفظ (Paraclate) لا نجد في أي نسخة من نسخات الإنجيل سوى نسخة "The New Jerusalem Bible" التي يستعملها النصارى في كنائسهم عادة. ونرى هذه الخطبة والنصيحة لعيسى عليه السلام في هذه النسخة تحت عنوان "The coming of the paraclate" أي قدوم فارقليطا، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم في هذه النسخة باسم "Paraclate" بمعنى محمد ﷺ.

والوصف الآخر للنبي صلى الله عليه وسلم الذي ذكر في إنجيل يوحنا: ان النبي المبشر لا يتكلم شيئا من عند نفسه وهو يتكلم حسب الوحي من الله تعالى. وهذا أيضا يوافق للنبي ﷺ. ويقول الله في سورة النجم: "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى"

وبمعنى هذه الآية الشريفة وصف النبي صلى الله عليه وسلم في الإنجيل بأنه لا يتكلم شيئا إلا بالوحي من الله تعالى. وهذا هو الوصف المهم للرسول المبشر الذي ذكر في الإنجيل والقرآن. وإذا أجرينا دراسة مقارنة بين القرآن والإنجيل نجد ان ما ذكر في الإنجيل من الأوصاف والمميزات الشخصية للنبي صلى الله عليه وسلم موافق لما ذكر في القرآن الكريم في هذا الموضوع. والإنجيل ولو كان محرفا ما اقتدر الرهبان والقسوس ان يغيروا ويبدلوا هذه الحقيقة. ونجد مثل هذا بعض الحقائق الموافقة لتعاليم القرآن الكريم في الإنجيل أيضا. وهكذا وصف إنجيل يوحنا النبي صلى الله عليه وسلم نبيا للعالمين في بابه الرابع عشر. وفي ضوء هذه الأوصاف والعلامات التي ذكرت في الإنجيل أقر الراهب "بحيرة" نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

واستخدم بعض النسخ للإنجيل لفظ "Advocate" لترجمة اللفظ الاغريقي "Paraclate" ومعنى هذا المفرد الشفيق والذي يدعى للغير. وبين قاموس الإنجيل باسم "Harpers Bible Dictionary" ان معنى هذا المفرد الاغريقي "Paraclate" ما يراد بلفظ "Advocate". وهذا الوصف أيضا يوافق الشخصية المقدسة للنبي صلى الله عليه وسلم، لانه يشفع امته يوم الحساب ويدعي لأجلهم أمام رب العالمين. وهو شفيع المذنبين ورسول رب العالمين. وكانت في النسخة العربية القديمة للإنجيل لفظ "أحمد" ترجمة لفظ "فارقليطا" ولكن الرهبان قد حذفوا هذا من النسخة الجديدة. ولهذا اللفظ أيضا معنى "الصديق الرحيم" وهو يناسب ما قال في القرآن الكريم "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" (الأنبياء ١٠٧) وان المستشرق المشهور سر وليم مور (Sir William Muir) يقول في كتابه "The life of Muhamet" (حياة محمد ﷺ) أما لفظ فارقليطا في الإنجيل يشير إلى محمد صلى الله عليه وسلم (ص-١٧) وكتب هكذا أيضا بعض المستشرقين وكتاب الأوربيين والعلماء الغربيين.

ووصف النبي صلى الله عليه وسلم "الروح الحق" أو الروح الزكي وهذه الميزة أيضا يوافق في حق الأنبياء عليه السلام لاسيما في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو روح مقدس ومعصوم. وقد وضعت العصمة في حقه منذ طفولته إلى آخر العمر، وهو يزكى الناس ويهديهم من الظلمات إلى النور. وكذا نفهم صريحا ان بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لتكملة دعوة الإسلام المبدوءة من آدم عليه السلام، وأن مجيء إكمال رسالة عيسى عليه السلام. ويبين الإنجيل انه عند عيسى عليه السلام نصائح وتعليمات نافعة لهم ولكن لا يلقي هذه كلها

إلى تلاميذه لأنهم لا يقدرّون أن يتحملوا كلها الآن. وإذا قدم الرسول المبشر يلقى هذه الأمور إلى الناس.

ويقر الإنجيل ان النبي صلى الله عليه وسلم روح مقدس. ويقول إنجيل مرقا (The Gospel According to John) "Truly I tell you people will be forgiven for their sins and whatever blasphemies they utter but whoever blasphemes against the Holy spirit can never have forgiveness but is guilty of an eternal sins (Mark - ٢٩-٢٨-٣). ويؤكد إنجيل أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم متصف بالروح المقدس وان الذنوب التي وقعت من الانسان بسبب تعييبه وتجديفه للغير يغفر، ولكن لا يغفر الله ذنب من يعيب ويتهم بالروح المقدس. وهو يستحق للعذاب الدائم والهلاك. ومن هذا القول للإنجيل طهر لنا عزيمة الرسول صلى الله عليه وسلم. وينبه عيسى عليه السلام تلامذته بهذا القول فضل الروح المقدس الذي سيأتي لدعوة الإسلام.

ونقرأ أيضا في إنجيل مرقا في الباب الأول "The one who is more powerful than I is coming after me. I am not worthy to stoop down and untie the thong of his sandals (Mark- 1-7) ويقول عيسى عليه السلام هنا صريحا ان الرسول الذي سيجيء بعده أفضل منه وأقوى. وليس له أهلية لاخذ نعله. ويشير مرقا في الإنجيل ان النبي الذي سيجيء بعد عيسى عليه السلام يزكي الناس. وهذه كلها موافقة لتعاليم القرآن والإسلام.

وفي العهد الجديد أيضا بشارات وإشارات إلى مجيء النبي صلى الله عليه وسلم. ولكن ضاع أكثرها بشدة التحريف والتدخل الفاحش من الرهبان. ونجد الآن في الإنجيل الذي يستخدم النصارى ككتاب مقدس لهم بعض الإشارات وبعض الأقوال الحقيقة لعيسى عليه السلام، وللنصارى تأويلات فاسدة في هذه المقامات كلها لا يعتمد عليها لأنه ليس لها أصل وسند كاف. وأوردنا هنا بعض البشارات المهمة من العهد الجديد.

#### بشارات في العهد القديم

وفي العهد القديم (Old Testament) أيضا بعض البشارات عن مجيء النبي صلى الله عليه وسلم وعن شخصيته المقدسة وفضله. نقرأ في الباب الثامن عشر من سفر التثنية (Deuteronomy) هكذا "I will raise up for them a prophet like you from among their own people. I will put my words in the mouth of the prophet who shall speak to them every thing that I command" يعني يقول الرب لعيسى عليه السلام "سوف أقيم لهم نبيا مثلك من

بين اخوتهم واجعل كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء أمر به" ويكتب بعده في الإنجيل انه من لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسم ربه فهو ينتقم من ذلك. وهذه البشارة ليست بشارة يوشع عليه السلام كما يزعم الآن أحبار اليهود، ولا بشارة موسى عليه السلام كما زعم علماء بروتستانت، بل هي بشارة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ونعرف ان اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام كانوا ينتظرون نبيا آخر مبشرا به في هذا الباب، وكان هذا المبشر به عندهم غير المسيح، فلا يكون هذا المبشر به يوشع، ولا عيسى عليه السلام. وكذلك وقع في هذه البشارة لفظ مثلك ويوشع وعيسى عليهما السلام لا يصح أن يكونا مثل موسى عليه السلام. ونقدر أن نستدل بهذين الوجهين وبغيرهما ان المبشر به في هذا القول هو محمد صلى الله عليه وسلم لا غير. وعلاوة على هذا نجد في التوراة أيضا بشارات أخرى. وجدير بالذكر ان في التوراة بشارة مهمة نقرأ في الباب الثالث والثلاثين من سفر التثنية في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م هكذا وقال: جاء الرب من سيناء وأشرف لنا من ساعير استعلن من جبل فاران ومعه الوفد الأطهار في يمينه سنة من النار" (سفر التثنية-٢/٣٣) وترجمته الانجليزية هكذا "He said: The Lord came from Sinai and

dawned from seir upon us he shone forth from Mount Param with him were myriads of holy ones" (Deuteronomy 33-2) فمجيءه من سيناء وإعطائه التوراة لموسى عليه السلام، واستعلانه من جبل فاران وانزاله القرآن لان فاران جبل من جبال مكة. وتوضح لنا من هذا القول ان موسى عليه السلام حصل له التوراة من طور سيناء. وساعير المكان المقدس الذي حصل منه الإنجيل لعيسى عليه السلام. وفاران جبل من مكة الذي حصل منه الوحي لمحمد صلى الله عليه وسلم. وغار حراء الذي نزل فيه جبريل عليه السلام بالوحي في هذا الجبل. وصرح في هذا القول ان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل مكة مع أصحابه الطيبين الطاهرين وهم عشرة آلاف. وظهر النبي صلى الله عليه وسلم في فاران مع ألف ألف أصحابه الكرام في السنة العاشرة من الهجرة. ولم يكن لاحد من الأنبياء أصحاب مثل هذا. وترجم نسخة الإنجيل المسمى بترجمة الملك جيمس (King James Version) "With Ten thousand of saints" بدل "Myriads of holy ones" ويصف هذا الإنجيل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم أشخاص أطهار. وفي العهد القديم أيضا بشارات أخرى حول هذا الموضوع ولكن لا نورد هنا كلها لخوف التطويل.

## بشارات في إنجيل برنابا (Gospel of Barnabas)

برنابا تلميذ مخلص لعيسى عليه السلام. وقدم جميع ما له لدعوة الإسلام كما نفهم من أعمال الحواريين (Act of Apostle) من العهد الجديد. وهذا التلميذ لعيسى عليه السلام باع جميع ما كان له من الأرض ووضع ثمنه أمام عيسى عليه السلام لغرض الدين. وهذا الحواري برنابا كان لعيسى عليه السلام بمنزلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لمحمد صلى الله عليه وسلم في شدة محبته ومصاحبته. وله إنجيل باسم 'إنجيل برنابا' ويشتمل هذا الإنجيل على ما رأى وسمع وفهم من حياة عيسى عليه السلام من الأقوال والأفعال والواقعات. ويقول برنابا في مقدمة الإنجيل انه يسجل جميع ما حدث في حياة عيسى عليه السلام على وجه الحق بأمر منه. وقد حرر وترجم هذا الإنجيل إلى الانجليزية من النسخة المخطوطة الايطالية التي حفظت في مكتبة وينا (VIENNA) وقام بالترجمة لونسديل (LONSDALE) وزوجته لورا (LAURAGG) ولهذا الإنجيل أيضا ترجمة أردوية ومليالم. وقد ترجمه إلى العربية خليل سعادة من مصر. ولو كان الأمور هكذا نقدته واعترض عليه علماء النصارى، لأن هذا الإنجيل فأس يقطع عنق عقائدهم الفاسدة. ولكن لا يستقبله النصارى، ويدعون انه شهادة زور لان هذا الإنجيل يبطل اعتقاداتهم الباطلة الضالة، ويثبت عقائد الإسلام. وكتبنا هذا اللقم حول هذا الإنجيل على أقصر صورة. وهذا الإنجيل جدير للدراسة العميقة

وفي هذا الإنجيل بشارات حول مجيء النبي صلى الله عليه وسلم وشرفه على الناس أجمع بل على الأنبياء كلهم. وبياناته موافقة لتعاليم الإسلام. وينكر إنجيل برنابا عقيدة الثالوث وان عيسى عليه السلام ابن الله وواقعة الصليب. ويكتب إنجيل برنابا في الباب التاسع والثلاثين ان آدم عليه السلام رأى في الهواء كانه مكتوب "There is only one God and Mohammed is the Messenger of God" يعنى لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسئل آدم عليه السلام عن معنى هذا القول، قال الله جل وعلا انه ابنك الذي سيأتي بعد زمان كثير. وهو رسولي الذي خلقت كل شيء لأجله ويعطى النور للعالم ويتبع الإنجيل ان آدم عليه السلام قال "Blessed be that day when thou shall come to the world" يعنى ذلك اليوم الذي تجيئ إلى العالم مبارك.

وصرح إنجيل برنابا هنا باسم محمد صلى الله عليه وسلم. ولا نجد اسم "محمد" صلى الله عليه وسلم صريحا في الأناجيل التي يستخدمها النصارى الآن، بل ضاع بتدخل الرهبان.



وكذلك يذكر إنجيل برنابا أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم، ويبين فضائله ويقول انه رحمة للعالمين ويكتب إنجيل برنابا "And when I saw filled with consolation saying O Mohammed God be with thee and may be make me worthy to untie thy shoe latchet" (The Gospel of Barnabas - 44) يعنى إذا رأيته يملأ روعي بالتسلية قائلا يا محمد (ص) الله معك. اجعل لي مستحقا لحل شريط حذاءك. وذكر هنا أيضا اسم محمد (ص) صريحا. اضافة إلى هذا عيسى عليه السلام ينقل قول الله تعالى بعد مدح النبي صلى الله عليه وسلم الذي سيأتي بعده ويبين أوصافه الخاصة "When I shall send thee into the world I shall send thee as my messenger insomuch that heaven and earth shall fail but thy ، and thy word shall be true،of salvation faith shall never fail. Muhammed is his blessed name" (Ibid - 97) إلى العالم ارسلك رسولا للسلامة، وقولك حق وبذلك ولو هلك السماء والأرض لا يفشل دينك أبدا واسمه المبارك محمد (ص) وفهمنا من هذا واضحا ان اسم النبي صلى الله عليه وسلم الذي سيأتي بعد عيسى عليه السلام محمد (ص).

ولما سمع التلامذة والحواريون نصيحة وقوله صاحوا بأعلى صوت "O، God send us thy ، messenger O Mohamed come quickly for the salvation of the world" (Ibid-97) أرسل لنا رسولك. يا محمد (ص) جئ سريعا لسلامة العالم. وهكذا بيانات الإنجيل لبرنابا مختلفة من سائر الأناجيل الموجودة الآن في الموضوعات المتعلقة بالنصرانية، وقد جرى بعض الدراسات حول هذا الإنجيل. هذا الإنجيل جدير بالمناقشة الطويلة وإنجيل برنابا يغند كل دعاوى الباطلة للنصارى. وضروري لنا ان نجرى دراسة مقارنة بين الإسلام والنصرانية في ضوء هذا الإنجيل المنسي والمهمل. وذكر القرآن الكريم في سورة الأعراف ان النبي صلى الله عليه وسلم مذكور في التوراة والإنجيل. ويشير إلى هذا الأمر قوله سبحانه وتعالى "الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل" (الأعراف - ١٥٧) وفي ضوء هذه الآية الشريفة إذا قفتنا العهد القديم والجديد وإنجيل برنابا نجد ان مجيء النبي صلى الله عليه وسلم مذكور في كتبهم المقدسة، ولو عمل هنا اليد الأسود للرهبان والقسيسين للتبديل ولمحو الحق. ولكن يضيء الحق من بين الباطل كما يلعب الذر الثمين من بين الملوثات. اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، آمين.

## الهدى النبوي في الرفق بالحيوانات

د/ عبد السليم الفيضي<sup>١</sup>

أنعمنا الله سبحانه وتعالى ببعثة أفضل الرسل سيدنا محمد ﷺ ، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس. وجعله الله رحمة للعالمين بشرا وجنا وحيوانا وجمادا. وأراد الله له مجمع كمال البشرية بالرحمة والرفق. وقدم للبشرية أثارا عظيمة من أمة حضارية لم تعرف البشرية شبيهة لها، من حيث سمو الأخلاق ودقة القوانين ونشر العدل والسماحة والخير. قال الله تعالى: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" (الأنبياء-١٠٧).

عمت رحمة النبي وتعدت لا على الإنس والجن فقط، بل يشتمل الحيوانات. فكونه رحمة للعالمين يقتضي أن يكون رحمة لكل ما هو دون الله من عوالم من إنس وجن وحيوان وطير بل وشجر وحجر وغيرها، ومن هذه العوالم التي نالت حظا من رحمة الرسول الأعظم عالم الحيوان. وهذا العموم ملحوظ في هدى النبي ﷺ، بل عالميته مما اختص به عن سائر الأنبياء، قال الرسول ﷺ: "كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود" وفي رواية "كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة" (البخاري-١/١٢٨). ومن نظر إلى مجموع وصاياه وتعاليمه في هذا الشأن علم حجم المهمة التي قام بها النبي ﷺ لرعاية الحيوان وبيان حقوقه، بل ما جاء به النبي ﷺ من تكريم للحيوان ورعايته يفوق بكثير ما تقرره جمعيات الرعاية بالحيوان في عصرنا الحاضر؛ لأنه ﷺ بحكم عامل الوحي قد نبه لأمر لا مجال لإدراكها بالعقل والتجربة من البشر العاديين، وما نبه إليه الرسول ﷺ يقيد الإنسان في كثير من تصرفاته فيما سخره الله إليه من الجمود.

فقد صرح القرآن الكريم أن تسخير الحيوان للإنسان إنما هو بفضل من الله ومنته، وأن هذا التسخير يقتضي الشكر له في حسن التعامل مع الحيوان بحيث لا يطغي الإنسان فيما سخره الله، ويستخدمه وفق حدود ما سخره الله عليه. وبين القرآن أن عالم الحيوان هو جزء من

<sup>١</sup> الأستاذ المشارك ورئيس قسم العربية، الكلية الحكومية، تشينشور، بالكاد.

العالم المسيح والساجد لله. وطاعته للبشر إنما هي امتثال لأمر الله سبحانه وتعالى. وأفاض بعض الآيات ببيان فضل الحيوانات، حيث أقسم الله تعالى بالإبل وبالخيل، وبين كرامة الهدهد مع سليمان وحرصه على توحيد الله، وحرص النملة على أخواتها من أن يحطمها سليمان وجنوده، وذكر أصحاب الكهف على وجه التكريم عدة مرات في سورة الكهف، وكان هذا التكريم لاختياره صحبتهم. هذه النصوص القرآنية التي تتحدث عن الحيوانات لها الأثر في نظرة البشر إليها كجزء من العالم المسيح والساجد لله. وهي أمم خلقها الله؛ ولكل أمة صلاتها وتسيبها. فيتعاطى الإنسان مع هذه الأمم المسبحة بنوع من الحساسية والرحمة بعيد عن التعسف والإسراف والظلم.

### الرحمة عنوان الرسالة :

الرحمة هي رفع العذاب وأشكال النقمة عن الكائن الحي من خلال تخليصه من الآفات المهلكة، وإيصال الخيرات لأصحاب الحاجات. والرحمة فضيلة تعتبر في أعلى سلم الفضائل، وعلوها يتباين تبعاً لمقدار العطاء والجهد الإيجابي الذي ينطوي عليه العمل الرحيم. فإن كان الجهد من خلال السعي لكشف الضرر ورفع العذاب ودفعه في العاجل والأجل للإنسانية كلها كانت الرحمة لصاحبها فضيلة لا تدانيها فضيلة أخرى.

### إيذاء الحيوان وتجويعه موجب للنار والرفق به موجب للجنة:

ويدل الأحاديث الصحاح أن ظلم الحيوان وتجويعه يوجب النار، والرفق به يوجب الجنة. عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض (البخاري ١٢٠٥/٣). وعن الشريد يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من قتل عصفوراً عبثاً عَجَّ إلى الله عز وجل يوم القيامة يقول يا رب إن فلانا قتلني عبثاً ولم يقتلني لمنفعة. (النسائي ٢٣٩/٧). وفي رواية: "من قتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها سأل الله عز وجل عنها يوم القيامة، قيل يا رسول الله فما حقها؟ قال حقها أن تذبحها فتأكلها ولا تقطع رأسها فيرمى بها" (الحاكم ٧٥٧٤). هذان الحديثان صريحان في إثم قتل الحيوان وإيذائه بلا حق، وبدلان على الشعور بالمسؤولية تجاه التعامل مع الحيوان. فظلمه وتجويعه موجب النار. وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم صورة حسية لامرأة تعذب بسبب تجويعها لهرة حتى ماتت، بل بين في حديث آخر أن الهرة تأتي يوم القيامة تخدش وتعذب صاحبها من باب الجزاء الوفاق، وهذه الواقعة مهيجة للوجدان وموقظة للضمير

ومنفرة من أي شكل من أشكال الإيذاء، حيث رسمت في وجدان كل إنسان يقصد إيذاء حيوان صورة لنفس الحيوان وهو يقتص منه بنفس الشكل يوم القيامة. ثم أشارت التعاليم أن أي نوع من الإيذاء للحيوان مهما صغر يحاسب ويسأل عنه الإنسان يوم القيامة.

وكذلك نهى النبي ﷺ عن ضرب الحيوان ووسمه في وجهه كما في الحديث عن جابر رضي الله عنه قال: " نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه". (مسلم ١٦٧٣/٣). وهذا من مظاهر التكريم النبوي للحيوان فلا يجوز الضرب في وجه الحيوان ووسمه. فالوسم وإن كانت الضرورة تقتضيه لتمييز الحيوانات عن بعضها إلا أن هذه الضرورة لا تستلزم تشويه الحيوان في أجمل شيء فيه وهو الوجه. لذا نهى النبي ﷺ عن ذلك ليحفظ الحيوان بصورته الجميلة غير المنفرة. وجمال الحيوان نعمة امتن الله بها على عباده؛ فالتشويه ظلم لاشك فيه. قال تعالى: ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون(النحل ٧). وإمعانا في محافظة النبي ﷺ على الصورة الجمالية للحيوان لعن من شوّها كما ورد الخبر عن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ مرّ عليه حمار قد وُسم في وجهه فقال: لعن الله الذي وسمه (مسلم ١٦٧٣/٣). وكذلك ضرب الحيوان في الوجه فيه امتهان له وأمكن إيفاء الغرض بضربه على مواطن أخرى تكون أقل إيذاء له.

وأما الرفق والتعاطف بالحيوان فهو موجب للجنة بل كان التعاطف والرفق سببا في رحمة امرأة بغي من بني إسرائيل بل فاق رفقها ما اجترحته من سيئات وعظائم، كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرّب منها ثم خرج، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش. فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له. وفي رواية فأدخله الجنة. قالوا يا رسول الله! وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال في كل كبد رطبة أجر". وفي رواية "بينما كلب يطيف بركية قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فاستقت له به، فسقته فغفر لها به" (البخاري ١٢٧٩/٢).

#### النهي عن التحريش بالبهائم وإرهاقها وعن قتل بعض الحيوانات:

اعتبر النبي ﷺ بأن التحريش بالبهائم موجب للعنة، وأنه نهى عنه. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم. (أبو داود ٢٦/٣). مرّ ابن عمر

رضي الله عنهما بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا، وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا. فقال ابن عمر من فعل هذا ! لعن الله من فعل هذا إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا. (مسلم ١٥٥٠/٣).

هذه التعاليم والوصايا قيدت التعامل الإنساني في حدود المنفعة المباحة والتي لا يعود فيها أي ضرر على الحيوان لذا جاء النهي عن التحريش بالحيوانات من خلال تسليط بعضها على بعض حيث لا فائدة ترتجى من ذلك وفيها إيذاء للحيوان، وكذلك يمنع استغلالها للهو المؤذي بالحيوان أو المهلك له باتخاذها هدفا للرمي واكتملت تعاليم النبي ﷺ بالنهي عن قتل كل ما لا يضر من الحيوانات أو الحشرات، واعتبرت التعامل معها مقيدا بالعدل من باب الجزاء الوفاق. وقد ذكر النبي ﷺ قصة عملية تضمنت عتابا لأحد من قبله تجاوز الحد وقتل قرية من النمل.

#### الإحسان إلى الحيوان عند الذبح:

أحل الله عز وجل للإنسان أكل بعض الحيوانات من البهائم و الطيور بعد ذبحها وصيد المأكولات. وإنما أباح الله تعالى لاستخدام الناس ولمنافعهم. ومن أجلها الأنعام قال تعالى أكلت لكم بهيمة الأنعام ( المائدة - ١ ). والتعاليم النبوية يخبر بالإحسان على إراحة الذبيحة وإحسان الذبح. وفي حديث روي عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته.(البخاري ١٢٠٦/٣). بل يعين النبي ﷺ في جانب الإحسان للحيوان عند الذبح، ويقول لرجل أضع شاة يريد أن يذبحها وهو يحد شفرته: "أتريد أن تميتها موتات هل حددت شفرتك قبل أن تضجعها. واعتبر النبي ﷺ أن تحرك دواعي الشفقة وكوامن الرحمة بالحيوان موجبة لرحمة الله سبحانه وتعالى ، يأتيه رجل فيقول " يا رسول الله إني لأرحم الشاة أن أذبحها فقال ﷺ: إن رحمتها رحمتك الله". فيحسن الإنسان التعامل مع الحيوان بحيث لا يطغي فيما سخره الله له وليستخدمه وفق حدود ما سخره الله عليه. ومن آداب الذبح أن يرفق الذابح مذبوحه وإمرار السكين سريعا، وأن يطلقه بعده للاضطراب والحركة وأن يشربه شرابا قبيل الذبح وأن لا يوجعها ولا يعطلها من السقي والروي.

وعلى راكب الحيوان الترحم به عند الركوب ولا يحْمَلْ عليه إلا ما يحمله على طاقته ووسعه  
مرّ رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه من شدة الجوع فقال: "اتَّقُوا الله في هذه البهائم  
المعجمة فاركبوها سالحة وكلوها سالحة" (ابو داود ٢٣/٣).

ولم تقتصر هذه التعاليم على الإيذاء المباشر، بل تعدته إلى بعض أشكال الإيذاء غير  
المقصود عند استعمال الإنسان للحيوان واتخاذها مطية؛ لذا منع النبي ﷺ من إيقاف الرواحل  
واتخاذها كراسي يتجاذب فوقها الناس الحديث دون اكتراث بنتائج تصرفهم على من تحتمهم.  
بل رحمة النبي ﷺ تتعدى نحو الطير والحشرات بمنع كل أشكال الإيذاء لها مهما كان  
صغيرا. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق  
لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تقرش فجاء النبي  
ﷺ فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردّوا ولدها إليها، ورأى قرية نمل قد حرّقتها فقال من حرّق  
هذه؟ قلنا: نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار (ابو داود ٥٥/٣).

شكاية الجمل وإطاعته للرسول ﷺ :

كان النبي ﷺ يسارع بالرحمة بالتصويب في إيذاء الحيوان ووقع كثير من المعجزات بهذا  
الصدد. فقد دخل يوما حائطا لرجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأى النبي حنّ أي- الجمل-  
وذرفت عيناه فأناه النبي ﷺ فمسح ذفراه - موضع الأذنين من مؤخرة الرأس- فسكت، فقال  
من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله! فقال:  
أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إليّ أنك تجيئه  
وتدئبه" (أبو داود ٢٥٤٩). وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أقبلنا مع  
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر حتى إذا دفعنا إلى حائط بني النجار إذا فيه جمل لا  
يدخل أحد إلا شد عليه، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حتى أتى الحائط فدعا  
البعير، فجاء واضعا مشفره إلى الأرض حتى برك بين يديه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:  
" هاتوا خطامه"، ودفعه إلى صاحبه ثم التفت إلى الناس، فقال: " إنه ليس شيء بين السماء  
والأرض إلا يعلم أنني رسول الله إلا عاصي الإنس والجن (الدارمي ١/ ١ وأحمد ٣/ ٣١٠)".

روى الإمام أحمد والبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن جملا جاء إلى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان قريبا منه خر الجمل ساجدا فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم: " يا أيها الناس، من صاحب هذا الجمل؟ " فقال فتية من الانصار: هو لنا يا رسول

الله، قال: " فما شأنه ؟ " قالو: سنونا عليه عشرين سنة فلما كبرت سنه، أردنا نحره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تبيعونه ؟ " فقالوا: هو لك يا رسول الله فقال: " أحسنوا إليه حتى يأتيه أجله "، (أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ١ / ٢٢٤).

عن يعلى بن مرة الثقفي قال: ثلاثة أشياء من المعجزات رأيتها من رسول الله ﷺ بينما نسير معه إذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر<sup>١</sup> فوضع جرانه<sup>٢</sup> فجاءه فقال بعنيه فقال بل نهبه لك يا رسول الله وإنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره قال أمأ إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه (شرح السنة).

هذه أهم التعاليم والوصايا الخاصة بالرفق بالحيوان ويلحظ عليها أنها تفوق كل ما بلغته البشرية من قوانين قاضية بحماية الحيوان والرفق به، وثقافتنا المعاصرة ما زالت تعج بما فيه إيذاء للحيوان كمصارعة الثيران والديكة وغيرها بالرغم من كثرة الجمعيات الخاصة بالرفق به.

<sup>١</sup> أي صاح من الجرجرة وهي صوت تردد البعير في حلقه  
<sup>٢</sup> مقدم عنق البعير

## الحكم الإلهية في تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم

محمد سليم الفيض برورا<sup>١</sup>

الزواج سنة هامة من سنن سيدنا محمد ﷺ ، هو مبدأ أسرة جديدة، أمر الله بذلك وبين فضائله وأحكامه في آيات شتى. وحث النبي ﷺ بقوله "من تزوج بامرأة فقد أحرز ثلثي دينه فليتنق الله في الثلث الباقي". نرى في القرآن المجيد "فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع... فإن لم تعدلوا فواحدة..." تدل هذه الآية على جواز زواج المسلم أكثر من واحدة من النساء إلى أربع. لكن إذا نظرنا إلى حياة النبي ﷺ وجدنا فيها خصوصيات شتى، منها زواجه ﷺ أكثر من أربع من النساء، وهو مبعوث إلينا بتعليم ديننا. وما حكمة ذلك؟ إذا تعلمنا حياته ﷺ نرى في ذلك حكما كثيرة عموما وخصوصا بالنسبة إلى كل من الزوجات.

### الحكم العامة:

١- حرص النبي ﷺ على تبليغ عقائد هذا الدين وشرائعه وآدابه وأخلاقه إلى جميع البشر رجالا ونساء، كبارا وصغارا. وقد كانت زوجاته ﷺ خير معوان له على تحقيق هذا الواجب الذي هو من أهم واجبات الرسالة، وهو التبليغ.

فزوجاته رضوان الله عليهن كن مصابيح هداية وإرشاد ووسائل تبليغ في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته. فقد تحدثن وأفنتن في مسائل تتعلق بالمباشرة الزوجية وآدابها وفي ما يجب على كل مسلم ومسلمة معرفته. روى أبو بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه قال "ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ أمر قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما". وروى هشام بن عروة عن أبيه قال "ما رأيت أحدا أعلم بفقهِه ولا طب ولا شعر من عائشة". وكذلك كانت زوجات النبي ﷺ في العلم والفقهِ وإن تفاوتن في ذلك.

٢- تبليغ الأحكام الخاصة بالحياة الزوجية، والتي لا يطلع عليها إلا الزوجات غالبا، وتعليم السياسة الخاصة بالمنزل. فمن الأحكام الخفية التي لا يعرفها إلا الزوجان تقبيل النبي ﷺ

<sup>١</sup> . محاضر، الجامعة النورية العربية، فيضاباد، كيرالا.



لزوجاته وهو صائم، فقد أخبرت بذلك أم سلمة (ر). وكذلك إخبار إحدى زوجاته أنه كان يأمرها أن تنزر وهي حائض ثم يضاجعها.

٣- امتداد الدعوة بعد وفاته عن طريق ألطف الناس برسول الله وهن زوجاته رضي الله عنهن. وقد ظلت عائشة وأم سلمة (ر) تنتشران العلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حوالي نصف قرن. فلا شك أن تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كان ضرورة دينية لا محيص عنها.

٤- الاستعانة بهن في شرح الغوامض التي ترد في إجابة النبي صلى الله عليه وسلم على أسئلة النساء. وفيها ما يستحي عن ذكره، كشرح عائشة للمرأة كيفية التطهير بغسل الحيض الذي كنى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفصح. وقد كان عليه الصلاة والسلام على حياء كبير اضطره أحيانا أن يكني عن الأعضاء الخفية وما يتصل بها.

٥- إظهار معجزة أو منقبة للرسول كانت كامنة. ولولا هذا العدد من الزوجات ما برزت للناس، وذلك بزيادة أعباء التكاليف عليه، إذ كيف تظهر قوة الرسول في القيام بواجبهن جميعا مع تقشفه وكثرة صيامه وطول قيامه ومشاق جهاده، الأمر الذي جعل الصحابة يتحدثون عنه بأنه أعطي قوة ثلاثين أو أربعين من الرجال. إنها طاقة لا تكون إلا للموهوبين أو للمصطفين من الناس.

٦- تحقيق صدقه في دعوته وتبرنته من تهمة الناس له بالسحر والكهانة وما إليها. إذ كيف يعرف أنه ليس كذلك، وربما مارس هذه الأعمال خفية، كالاتصال بالجن مثلا، حين لا يكون غالبا إلا سرا. ولكن إطلاع الزوجات على أحواله الداخلية يؤمن معه تواطنهن على ستر العيوب.

٧- رفع درجات النبي صلى الله عليه وسلم بزيادة أعباء التكاليف في القيام بواجبهن، وما أشقه وأدقه وأهمه! لقد كان الوحي يلاحقه وهو مضطجع مع بعض نسائه كما رواه البخاري عن أنس (ر) "يا أم سلمة لاتؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها".

٨- إظهار أخلاقه الشريفة المستترة ومحاسنه الباطنة التي لاتعرف إلا في ظل الحياة الزوجية بشكل واسع. يدل على ذلك أنه تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان وكان أبوها كافرا محاربا للرسول إذ ذاك. وتزوج صفية بنت حي بن أخطب وقد قتل أباه وعمها وزوجها. فلولم تطلعا

من بواطن أحواله على أنه أكمل الأزواج لكانت الطباع البشرية تقضي بالنفور عنه، والميل إلى الآباء والأقارب.

٩- تأليف العرب بالمصاهرة ليخفف ذلك من حدة عنادهم للرسول ﷺ . وقد كان لهذا الإصهار أثره في مثل قول أبي سفيان عند ما سمع أن النبي ﷺ تزوج بنته: هو الفحل لا يقدح أنفه. ذكره ابن مسعود وغيره، وفي مثل اختيار صفية لرسول الله ﷺ عند ما خيرها بين المقام معه والرجوع إلى أهلها. وكان لهذا أثره في تخفيف الحدة بين الرسول واليهود بعد ذلك.

١٠- إقامة الحجة على أنه ﷺ نبي حقا، فالواحد منا تكون عنده الزوجتان ويتحير كيف يوفق بينهما ويتعذر عليه إرضائهما والعدل بينهما . وهذا هو رسول الله ﷺ كانت عنده تسع نسوة فوق بينهن، اكتسبن رضاه حتى كن يتسابقن في ذلك. وذلك بسبب سعة عقله ﷺ ورحابة صدره وحسن خلقه وبعد نظره وعجيب سياسته.

#### الحكم الخاصة

١- السيدة خديجة بنت خويلد (ر). تزوج الرسول ﷺ السيدة خديجة وهو في شرح الصبا ويعان الفتوة وكمال الرجولة. وظلت خديجة وحدها زوجة مدة تزيد عن خمس وعشرين سنة حتى تخطى الرسول الخمسين. وهذا في زمن كان تعدد الزوجات أمرا شائعا بين العرب، وحين كان للرسول ﷺ مندوحة في التزوج على خديجة حين لم يعيش له منها ذكر، وفي وقت كانت توأد فيه البنات. وكان الذكور وحدهم هم الذين يعتبرون خلفا كما أن زواجه ﷺ بالسيدة خديجة (ر) لا يحتاج إلى حكمة عامة أو خاصة وهو زواج الفطرة. والمحفوظ من سيرة النبي ﷺ أنه تزوج بالسيدة خديجة وهو في الخامسة والعشرين من عمره وكانت هي في سن الأربعين، وظل معها وحدها لا يضم أخرى حتى تجاوزت السيدة الفضلى الخامسة والستين وماتت وهو صلوات الله وسلامه عليه فوق خمسين. ولم يجرأ أحد من أشد خصومه لندا، أن ينسب إليه دنسا أو يتهمه بريية في هذه الفترة الخصيبة من عمر الإنسان. كان رونق العفاف والشرف يتألق في جبينه حين سار. ولو أنه أحب التزوج بأخرى ما عاقه مانع من شرع أو عقل أو عادة.

٢- السيدة سودة بنت زمعة (ر). بعد أن لحقت خديجة بالرفيق الأعلى تزوج النبي ﷺ السيدة سودة بنت زمعة أرملة السكران بن عمرو بن عبد الشمس. ولم يرو أحد

من الرواة أن السيدة سودة كانت من الجمال أو من الثروة أو المكانة بما يجعل لمطمع من مطامع الدنيا أثرا في زواجه ﷺ بها. إنما كانت سودة زوجا لرجل من السابقين إلى الإسلام الذين احتملوا في سبيله الأذى والذين هاجروا إلى الحبشة بعد أن أمره النبي ﷺ. وقد أسلمت سودة وهاجرت معه وعانت من المشاق ما عانى، ولقيت من الأذى ما لقي، ثم عادت مع زوجها إلى مكة ولكنه مات عقب وصوله وتركها مهيضة الجناح معرضة لنكال أبيها المشرك. وكان الرسول ﷺ يومئذ بغير زوجة ترعى أولاده ليتفرغ لواجب الدعوة، فلما عرضت خولة بنت حكيم عليه ﷺ أمر سودة هذه التي كان سنها تقارب سبعين وظروفها صعبة، أدرك ﷺ أنه لا ينبغي أن يتركها لمحنها أو يتخطاها فتزداد شماتة الكفار بها. فإذا تزوجها ﷺ ليعولها وليرتفع بمكانتها إلى أمة المؤمنين يضاف إلى ذلك تشريفه لها ولقومها، لأن أحوالها من بني النجار، وهو يتألف بها بني عبد شمس أعداء بني هاشم. كما خاف عليها أن يفتنها قومها إذا رجعت إليهم بعد موت زوجها.

٣- السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق (ر). كان زواج النبي ﷺ بها تقوية لرابطة الصداقة بينه وبين أبي بكر الصديق (ر)، وإرضاء له وتكريما على وقوفه بجواره ﷺ وتحمله ما لم يتحمل غيره في سبيل الدعوة الإسلامية وبخاصة في الناحية المالية إلى جانب ما يلي: ١- حمل أمانة العلم النافع وتبليغه عنه للنساء في حياته ﷺ وبعد وفاته. ب - امتثال النبي ﷺ لأمر به فيما رأى في نومه. فعن عائشة (ر) أن النبي ﷺ قال لها "رأيتك في المنام مرتين أرى في سرقة من حرير ويقول هذه امرأتك فأكشف فإذا هي أنت فأقول إن يك هذا من عند الله يمضه".

٤- السيدة حفصة بنت عمر (ر). تزوجها النبي ﷺ إكراما لأبيها عمر بن الخطاب (ر) على الرغم من عدم وجود ما يغري على زواجها. فإنه بعد موت زوجها خنيس بن خذافة السهمي عقب غزوة بدر، وهو من القلائل الذين حضروا غزوة بدر، وتوفي بعد الموقعة بقليل، وترك من بعده حفصة أرملة في السن الثامنة عشرة ولم تكن على شيء من الجمال. عرضها أبوها على أبي بكر وعثمان (ر) بعد وفاة زوجته رقية بنت النبي ﷺ فلم يجيباه في الوقت التي جدت فيه ظروف بعد موقعة

بدر شعر المسلمون فيها بأن كثرة الغزوات قد ترتب عليها قلة عدد الرجال بينما يزيد عدد الأراامل بعد سقوط أزواجهن في هذه المعارك، فعمدوا إلى مبدإ تعدد الزوجات ليحمل كل أخ عن أخيه المسلم شيئاً من أعباء تركته فيصون زوجته من الترمل والوحشة ويعصمها من الفتنة أو المذلة.

٥- السيدة زينب بنت خزيمة (ر): إلى جانب كونها كانت تلقب بأُم المساكين لكثرة تصدقها عليهم وبرها بهم، وتكريماً للشهادة في شخص زوجها الذي توفي عنها في حياة النبي ﷺ ولم تلبث معه سوى مدة قصيرة تزوجها النبي ﷺ .

٦- السيدة أم سلمة (ر): تزوجها النبي ﷺ بعد موت زوجها وكان زواجه منها مكافأة لها على ما لقيته من الشدة عند إسلامها وعند هجرتها . فقد كانت أول مهاجرة للحبشة. وأول طعينة للمدينة انتزعها أهلها من زوجها عند هجرته. وربما كان استجابة من الله لدعوة زوجها أبي سلمة بأن يرزق الله أم سلمة من بعده زوجها لا يخزيها ولا يؤذيها، أو استجابة لدعائها. كان زواج النبي ﷺ منها عزاء لها وتكريماً لجهادها وجبراً لكسرها وتعويضاً لها عن فقد عائلها الذي مات عنها بعد غزوة أحد بشهور.

٧- السيدة زينب بنت جحش(ر): الأربع السابقة في حيز العدد المسموح به. ومن جاء بعدهن يحتاج زواجهن إلى التعليل. وأولاهن زينب بنت جحش، قد تزوجها النبي ﷺ بعد أن طلقها زوجها زيد بن حارثة مولاه، وذلك لإبطال حكم التبني الذي كان يمنع تزوج الرجل بمطلقة ابنه المتبنى. نرى أن زواج النبي ﷺ من السيدة زينب لم يكن لشهوة عارمة دفعته ﷺ إلى ذلك بعد أن رأى من مفاتنها ما جعله يقول: سبحان مقلب القلوب- كما يدعي البعض - ولا لهوى ملك عليه نفسه وملاً فؤاده بحبها، وإنما كان:

- لإبطال حرمة زوجة الإبن المتبنى، والقضاء على أمر الجاهلية في هذا الشأن من العنجهية والاعتزاز بالأحساب والأنساب.
- إعلان التسوية وتنفيذها عملاً بعد أن كانت بنات الأشراف يأفنن من الزواج من الموالي وإن أعتقوا وصاروا أحراراً.
- إزالة الفوارق المصطنعة بين الناس القائمة على العصبية وحمية الجاهلية

- مشيئة الله بتزوج أول عتيق بعربية في القمة من العرب، ذلك العتيق هو زيد بن حارثة
  - فتح الباب أمام بنات الأشراف ليتزوجن من الموالي.
- ٨- السيدة جويرية بنت الحارث(ر): كانت أسيرة في غزوة بني المصطلق ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري فكاتبها على تسع أواق من الذهب، فدفعها النبي ﷺ وعتقت وتزوجها النبي ﷺ وكان زوجها رضي الله عنها من النبي ﷺ خيرا وبركة على قومها، فقد كان النبي ﷺ قد أسر الكثيرين من قومها في غزوة بني المصطلق، فلما وصل الخبر إلى الناس أن النبي ﷺ قد تزوج بنت الحارث بن أبي ضرار سارع المسلمون إلى عتق أسرى قومها وهم يقولون: أصهار رسول الله ﷺ . فبزواجها من النبي ﷺ كرمت بهذا الزواج ونجت من العار وأعتقت قومها من الأسر.
- ٩- السيدة صفية بنت حيي بن أخطب رض: كان أبوها زعيم بني النضير فهي بنت ملك وزوجة ملك قبل النبي ﷺ، فقد كانت زوجة صاحب حصن القموص، أمنع حصون خيبر، وقعت أسيرة في سهم دحية بن خليفة الكلبي. فنفسها عليه إخوانه لشرفها وجمالها، فضمها النبي ﷺ إليه، وأرضى دحية بقربيبات لها، وحققت رؤياها من قبل. وضرب النبي ﷺ المثل في بلوغه حد الكمال الإنساني في معاملة الأعداء الذين ذلوا بعد عز وهانوا بعد منعة ومجد، فتزوج بها.
- ١٠- السيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان (رض): فقد تركت أباهما قائد جيوش الكفر لتسلم، وتركت وطنها لتهاجر مع زوجها الذي وضعت فيه كل آمالها، لكن زوجها عبد الله بن جحش خيب آمالها، فقد تنصر فتعرضت أم حبيبة لشتمات شديدة. وتمثل الرسول الكريم كرب أم حبيبة في ديار الغربية، فمد يده لإنقاذها، فأرسل النجاشي ليخطبها له، فخطبها للرسول وعادت أم حبيبة وهي تحمل لقب أم المؤمنين. ولم يتألم أبو سفيان والدها من زواجها من النبي ﷺ، بل حمد النبي ﷺ فعله وقال: هو الفحل لا يجدع أنفه.
- ١١- السيدة ميمونة بنت الحارث (رض): تزوجها رسول الله ﷺ في عمرة القضاء في العام السابع للهجرة حين كان سنه ﷺ ستين عاما، وقد كان زواجه ﷺ منها ربطا لصلته بأقاربه المصاهرين لأقاربها.

## المعجزات النبوية

محمد عبد الرحمن الفيضي<sup>١</sup>

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين بشيرا ونذيرا وأيده بالآيات البينات داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا وبعد فإن حكمة الله اقتضت إرسال رسله من البشر ليكونوا سفارة بين الله وبين عباده من العقلاء يبلغون رسالاته للناس مما يحتاجون إليه من مصالح الدنيا والآخرة، يأمرونهم بعبادته ويبينون لهم كيفيتها ويبشرون لأهل الايمان والطاعة بالثواب ولأهل الكفر والطغيان بالعقاب لأن الإنسان خليفة الله في الأرض في تنفيذ امره وتطبيق أحكامه وما خلقه الله إلا لعبادته "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" (الذاريات- ٥٦) ولا يتم أمر الخلافة والعبادة خاصة إلا بإرشاد وتوجيه من الله الخالق عز وجلّ وقال تعالى "إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبیین من بعده..... إلى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكیما" (النساء ١٦٣- ١٦٥) فقطع الله حجة الناس بإرسال رسله منهم لئلا يقولوا "ربنا لولا أرسلت إلینا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى" (طه- ١٣٤) نفهم من هذه الآيات الكريمة حكمة الله تعالى في إرسال الرسل فالرسول إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ الأحكام الشرعية. وختم سلسلة الأنبياء والرسل بخاتم النبیین سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولانبي بعده. وجميع الخلق الذين يأتون إلى يوم القيامة من الجن والإنس مأمورون باتباعه في كل ما جاء به من عند الله عزّ وجلّ.

وأيد الله تعالى كل واحد من رسله بالمعجزات الناقضات للعادات الإلهية لإظهار الصادق في دعوي الرسالة من الكاذب المفترى لأن من ادعى الرسالة بالآيات الظاهرات يحصل الجزم بصدق مقالته كما إذا فرضنا واحدا من الناس يدعي أنه رسول رئيس الوزراء إليهم فلم يقروه الا بالبيّنة فقال للرئيس في محضر من الناس إن كنت صادقا فخالف عادتك وقم عن كرسيك ثلاث مرات فإذا فعل الرئيس يحصل العلم بصدق مقالته ويصدق في دعواه فالمعجزة

<sup>١</sup>. مدرس، جامع التوربادي، ملابرم.

أمر خارق للعادة قصد به إظهار صدق من ادّعى أنه رسول الله (شرح العقائد للعلامة سعد الدين التفتازاني رحمه الله)

ومن المعجزات التي بدت من الرسل الكرام السابقين ناقة سيدنا صالح عليه السلام التي خرجت من الصخرة كما إقترح قومه " وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءكم بيّنة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية" (الأعراف - ٧٣)

ومنها العصا واليد البيضاء والطوفان وغيرها من الآيات التسع التي تكرم بها سيدنا موسى عليه السلام " ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنت فسئل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا" (الإسراء - ١٠١) وكان سيدنا عيسى عليه السلام يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص وكان يجعل من الطير كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله كما بيّن الله تعالى في القرآن المجيد (المائدة - ١١٠) وألان الله الحديد لسيدنا داود عليه السلام وسخر له الجبال والطير يسبحن معه (سبأ - ١٠) "ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه" (سبأ - ١٢)

وأما نبينا خاتم الأنبياء الرسول الأمي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه أكثر الرسل آية وأظهرهم برهانا وحجة وخصّصه الله عزّ وجلّ بمعجزة خالدة تبقى مادامت السموات والأرض لأنه مبعوث إلى الجن والإنس عامة وختم به الأنبياء فلا بد من آية باقية وحجة بالغة يتم الإقناع بها في كل عصر ومصر حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو القرآن الشريف وإعجازه قال الامام البوصيري:

آيات حق من الرحمن محدثة	قديمة صفة الموصوف بالقدم
لم تقترن بزمان وهي تخبرنا	عن المعاد وعن عاد وعن إرم
دامت لدينا ففاقت كل معجزة	من النبيين إذ جاءت ولم تدم

كانت الآيات والنذر في الأمم الخالية وقتية لم يشاهدها الا الحاضر لها ولكن جعل الله القرآن معجزا يبقى أبدا ليظهر دليل صدقه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وجعله دليلا على صدق جميع الأنبياء لأنه مصدق لهم ومخبر عن أحوالهم يقف عليها قرن بعد قرن إلى يوم القيامة.

يقول المؤرخ ابن خلدون في مقدمته حول علامات الأنبياء: "ومن علاماتهم أيضا وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم وهي أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة وليست من جنس مقدور العباد وإنما تقع في غير محل قدرتهم وإذا تقرّر ذلك فاعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه

وسلم فإن الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ويأتي بالمعجزة شاهدة مصدقة والقرآن بنفسه الوحي المدعى وهو الخارق المعجز فشاهده في عينه ولا يقتصر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي فهو أوضح دلالة لإتحاد الدليل والمدلول عليه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم "ما من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة" يشير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان التصديق لها أكثر لوضوحها تكثر المصدق المؤمن وهو التابع والأمة (مقدمة:ص ١١٩).

### إعجاز القرآن

أوجه إعجاز القرآن المجيد كثيرة منها :

(١) **حسن تأليفه**:- اشتمل القرآن على الفصاحة والبلاغة في الإيجاز والإطالة لا يقدر أحد أن يأتي بمثله ولم يزل القرآن يتحدى المعارضين ولكن ولّوا عنه مدبرين ونكصوا عن معارضته مع أنهم كانوا أفسح في هذا الباب مجالا وأكثر في الشعر والسجع ارتجالا قال تعالى : " وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله " الآية (البقرة- ٢٣) حتى أذعن له ألد أعدائه "والفضل ما شهدت به الأعداء" كما حكي عن وليد بن المغيرة أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ عليّ فقرأ عليه "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" الآية فقال: أعد فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم فقال الوليد "إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر" (دلائل النبوة-١١٩/٢).

(ب) **أسلوبه الغريب**:- أسلوب القرآن ونظمه مخالف لأساليب كلام العرب ومناهجهم في إنشاء النظم والنثر وتأدية المعاني بالإيجاز والإطناب ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له كأسماء الحروف التي في أوائل بعض السور يقول الإمام البيضاوي في تفسيره "افتتحت السورة بطائفة منها إيقاظا لمن تحدي بالقرآن وتنبيهها على أن المتلوّ عليهم كلام منظوم ممّا ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله تعالى لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيه وليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلا بنوع من الإعجاز فإن النطق بأسماء الحروف مختص بمن خطّ ودرس فأما من الأمي الذي لم يخالط الكتاب فمستغرب ومستبعد خارق للعادة... (البيضاوي ص ١٢).



(ج) أخبار الأمم الماضية:- أنبأ القرآن أخبار القرون السالفة التي لا يعلمها الا الأحبار من أهل الكتاب وعلماء بني إسرائيل مع كون النبي صلى الله عليه وسلم أمياً لا يكتب ولا يقرأ.

(د) الحقائق العلمية الحديثة :- اشتمل القرآن على الآيات المبينة حقائق العلم الحديث التي لم يكتشفها العلماء الا في هذا القرن الحالي كما بيّن أطوار الجنين في بطن أمه قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم " الآية (المؤمنون-٥) ومنها ما لا يعلمها الا الله وما أوتيتم من العلم الا قليلاً.

(هـ) الإخبار عن الغيوب المستقبلية:- قال تعالى عن الروم " وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين"(الروم-٣) فغلبوا فارس بعد سنين وقال تعالى " قل للذين كفروا ستغلبون (آل عمران-١٢) فغلبوا وقال تعالى "لتدخلن المسجد الحرام" (الفتح-٢٧) فدخلوا الى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

(و) الحفظ من الاختلاف والتناقض:- تكفل الله تعالى حفظ القرآن من الاختلاف والضياع والتناقض قال تعالى " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " (الحجر-٩) هناك ملايين المسلمين حفظوا القرآن عن ظهر القلب ولايسلط الله الأعداء على القرآن لأنه محفوظ في السطور والصدور الى يوم القيامة بخلاف سائر الكتب المنزلة.

(ز) الروعة عند تلاوته:- تلحق الروعة والجذب قلوب سامعيه عند تلاوته فتميل القلوب اليه قال تعالى : "تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم" (الزمر-٢٣)

#### إنشقاق القمر

لما أراد كفار مكة أن يعجزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلب الآيات وقالوا يا محمد إن كنت صادقاً فأرنا آية نطلبها منك وهي أن تشق القمر فرقتين فشق القمر فرقتين احديهما على جبل ابي قبيس والأخرى على جبل قعيقيعان فقال : إشهدوا فقال بعضهم لقد سحركم ابن ابي كبشة وقد رأى هذه المعجزة جيرمان فرمال ملك كدنگلور فأسلم بعد ما ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم مع تجار العرب.

#### نبح الماء من بين أصابعه

قال أنس رضي الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة العصر فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجده فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع في

الإناء يده وأمر الناس ان يتوضؤوا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه حتى توضؤوا فقل كم كنتم قال: زهاء ثلاث مائة (البخاري) هذا أفضل المياه وقد وقعت هذه المعجزة مرارا.

### تكثير الطعام

روى جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أطمع يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجبتنا ليخبز (البخاري) كان صلى الله عليه وسلم قد بصق في العجين والبرمة وبارك وروى مثل ذلك كثير من الصحابة في مواضع كثيرة.

### انقياد الأشجار والجمادات

قال جابر رضي الله عنه "سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا أفيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته بإداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يستتر به وإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق الى احديهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال " انقادي عليّ باذن الله " فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال " انقادي عليّ باذن الله " فانقادت معه كذلك (مسلم ٣٣٧/١٨) ثم التئما بأمره وبعد الفراغ من حاجته افترقا فقامت كل واحدة منهما على ساق. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم إلى جذع النخلة اذا خطب فلما صنع المنبر سمع لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت (البخاري) وكان يشكو الى النبي صلى الله عليه وسلم الجمل وسائر البهائم وشهد برسالته الضب والذئب.

### إبراء المرض

أصيبت يوم احد عين قتادة رضي الله عنه حتى وقعت على وجنته فردها النبي صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه (الطبراني) وكان علي رضي الله عنه يوم خيبر يشكو عينيه بالرمم فشفاه بريقه الشريف وأمثال هذه أكثر من ان تحصى.

### إجابة دعواته

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنس بن مالك رضي الله عنه فقال " اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته " (البخاري) يقول أنس رضي الله عنه فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي

وولد ولدي ليعادّون اليوم نحوالمائة وعاش اكثر من مائة وعشرين عاما ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة فكان أكثر الناس مالا في المدينة حتى تصدق مرة بغير فيها سبع مائة بغير ودعا لابن عباس رضي الله عنه فقال "اللهم فقّهه في الدين" فكان رئيس المفسرين.شكى أعرابيّ إلى النبي صلّى الله عليه وسلم حين يخطب بقلة الماء وهلاك الأهل والمال فرفع رسول الله صلّى الله عليه وسلم يديه ودعا فتأثر السحاب أمثال الجبال فمطر حتى الجمعة الأخرى فشكى إليه الأعرابيّ كثرة الماء وتهدم البناء وغرق المال فقال صلّى الله عليه وسلم " اللهم حوالينا ولاعلينا " فما يشير بيده الى ناحية السحاب الا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة (البخاري) ودعا لابي قتادة ببركة شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة كأنه ابن خمس عشرة (الواقدي) وغير ذلك مما يعجز القلم عن عده وكتب السيرة النبوية مملوئة بأياته البينات المروية من الصحابة رضوان الله عليهم وأثبتته المحدثون في صحاحهم.

## البيئة: نحو تطبيق النظرية النبوية

عبد السلام الأمانى الفيضي

القضية البيئية وما تعانیه من تدهور واستنزاف من القضايا الملحة في الوقت الحاضر. البلدان العالمية سواء كانت متقدمة او غير متقدمة تقدم خططا مختلفة ومشاريع متنوعة لأجل وقاية البشرية والكائنات البرية والبحرية من الكارثة البيئية وتلوثها. وكثيرا ما تتعرض مسارح القمم الدولية للحوارات البيئية لنزاعات حارة واختلافات لاذعة. رغم وجود قوانين دولية وضوابط بيئية عالمية تتزايد يوما فيوما الاستنزافات المهددة والاعتداءات الغير المبررة ضد هذه الأرض ونظامها وطبيعتها وكائناتها .

الدروس النبوية المستمدة من الرسالة السماوية تدعو الإنسانية إلى الحفاظ على هذه البيئة وتوازنها والابتعاد عن كل ما يضرها من سلوكيات وتصرفات، وتمنع منعاً باتاً عن أي عمل أو نشاط يقوم به الإنسان العاتي للقضاء على هذه الطبيعة الكونية أو لإخلال توازنها الذي دبره وثبته الخالق القدير .

فعلا، إن كلمة البيئة لم تذكر في القرآن المجيد أو في السنة النبوية المشرفة. ولكننا إذا أخذنا مفهوم البيئة الذي يحددها بأنها الأرض وما تضمنته من مكونات حية وغير حية سواء كانت على اليابسة أو على الماء وما يحيط بالأرض من الغلاف الغازي، وجدنا أن القرآن الذي هو الدستور الإلهي والمشروع الشامل للحياة الإنسانية المتكاملة تحدث كثيرا عن البيئة وعمارته وتربيتها أكثر من أي كتاب ديني أو سفر سماوي . وكذلك السنة المطهرة المستمدة من القرآن الحكيم والوحي الإلهي عالجت كثيرا هذا الموضوع بشتى نواحيه .

وكذلك كلمة التلوث المراد بها التغيرات في الخواص الطبيعية والكيميائية والبيولوجية التي تحيط بالإنسان لم يرد ذكره في القرآن المجيد أو في السنة الشريفة. ولكنهما ناولا هذا المعنى الذي تضمنته هذه الكلمة في كثير من المواضع حيث حذرا تحذيرا شديدا ضد تعاملات الإنسان السيئة مع هذه الطبيعة وإفسادها وتخريبها وتشويه جمالها وتغيير نظامها. وكان النبي المحمود صلى الله عليه وسلم يأمر أمته بتربية بيئية صالحة، ويحظر أن تلحق أي ضرر أو سوء بهذه الطبيعة التي أحكمها الله إحكاما دقيقا وأثبتها إثباتا متينا.

وانطلاقاً من الآيات القرآنية الباحثة عن التربية البيئية، الناهية عن تلويث الأرض والطبيعة، مثل قوله تعالى "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين"، وقوله تعالى "وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين"، وقوله تعالى "كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين"، تحت الرسالة المحمدية على توطيد كل محاولات فعالة رامية إلى الإصلاحات البيئية، وتقف إلى جانب صفوف ترفع صوتها ضد تلويث البيئة والسلوكيات السلبية المؤدية إلى خراب الأرض، كما أنها

تنبه الإنسان أن يقوم بدوره الموكل إليه بتعمير الأرض وإنقاذها كأنه خليفة الله فيها المبعوث بالخير والرخاء وبمهمة الإصلاح والتجميل لهذه الأرض وما عليها.

هناك وقائع عديدة تحكي لنا اهتمام الرسول بهذه البيئة وكائناتها، والتي ترسم أمامنا الصور الطبيعية الرائعة حيث كان عاشقاً لهذه المشاهد الكونية والمظاهر الأرضية. فكان قلبه أجمل من ذلك الجمال الذي تجلبه الواحات الصحراوية، وأروع من تلك الروعة التي تحملها أزهار المفازة التي لا تتفتح إلا نادرة. وكانت هذه العقلية النبوية المتعشقة لكلما ومن حوله - سواء كان إنساناً أودابة، صديقاً أو عدواً، نهراً أو شجراً- الرحمة العظمى التي أودعها الله في قلبه الواسع.

وهذا العشاق الطبيعي هو الذي جعل الرسول ﷺ يدعو إلى الحفاظ على المبادرات الزراعية. فليست المجهودات المنتظمة والمختلفة لأجل حماية البيئة بوليد العصر ولا من محدثات الزمن. فقد كان الرسول الكريم ﷺ يحث أصحابه ويدعوهم إلى استزراع النباتات والمحافظة عليها. يقول النبي المحمود ﷺ: إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها" رواه مسلم؛ هذا الحديث الشريف يدل على أهمية الزراعة وضرورتها، ويصدق المثل الشهير "واحرث لندياك كأنك تعيش أبداً، واحرث لآخرتك كأنك تموت غداً". وفي حديث رواه البخاري ومسلم والترمذي: ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة". ما أجمل هذا الحديث المنبعث من قلبه الواسع المرين الذي يدهش ويعجب كل من يمارس هذا الحقل من نشطاء البيئة وأعضاء لجانها حيث وصف الزراعة قرابة مأجورة وصدقة جارية! وهل هناك حكاية تحاكي هذه الحكاية النبوية التي تعكس المظاهر البيئية ونواحيها المختلفة الحادثة على الزراعة والتي تلقي البذور للانعاش الطبيعي والنهضة البيئية في القلوب البشرية.

وكان النبي ﷺ المبعوث بالرحمة يأمر قواده المتجهين إلى المعارك أن يبتعدوا كل الابتعاد عن قطع الأشجار وتدمير الممتلكات والزررع. وكان يصدر الأوامر لاحترام البيئة واحترام ما تضمنته من مكونات حية وغير حية. وكان يشاطر المشاريع التشجيرية ويشجعها. ومن الملاحظ أن هذه الأوامر والفكرات ما كانت من عصر متقدم ترتفع فيه النداءات والدعوات لحماية البيئة ووقاية الطبيعة؛ بل كانت في عصر التهمته ظلمة الجهالة وغلظة القلوب. دعنا نحكي هنا مشروع تشجير رأسه النبي ﷺ مباشرة. عن سلمان رضي الله عنه: كاتبت أهلي على أن أغرس لهم خمسمائة فسيلة فإذا علقن فأنا حر" قال: فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال: اغرس و اشترط لهم، فإذا أردت أن تغرس فأذنني، فأذنته، قال: فجاء فجعل يغرس بيده إلا واحدة غرستها بيدي فعلقن إلا الواحدة" رواه احمد. ترى النبي ﷺ في هذه الواقعة زارعا ماهرا يجيد التقنية الزراعية حتى نبت وعلق كل ما غرس كما رأينا في تلك القوافل التجارية التي بعثتها السيدة خديجة رضي الله عنها قبل البعثة تاجرا ماهرا يحسن الحكمة التجارية حتى رجع إلى صاحبة أعماله بربح كبير.

والماء من المنظور النبوي نعمة الله الغالية. وكان النبي ﷺ يقوم بتوعية قومه وأهل بلده عن أهمية الماء وضرورة حفاظه وعدم الإسراف في استعماله. وكان يتلو عليهم الآيات الإلهية المتحدثة عن نفاسة الماء وقداسته. وكان صحابته الكرام أيضا ينتهون عن كل فعلة تلوث وتقذر الماء ومصادره. وكانوا يعرفون قيمة الماء حق المعرفة، وهو شيء لادخل للإنسان فيه ولاطاقه له عليه. كما قال عز شأنه في كتابه المنير "أفرأيتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون" (سورة الواقعة).

ولكن الإنسان الحديث الحريص على جمع المال يستغل أيضا هذه النعمة الإلهية حيث جعل الماء والنهر متاعا يباع وبضاعة تستهلك. والحكومات والسلطات الرسمية نفسها تتبع السدود ومصادر المياه بمبالغ عظيمة وأسعار هائلة. وهذا ظلم عظيم وفساد كبير يرتكبه الإنسان الذي استعبدته المصلحة الذاتية. وهذه المنة الإلهية التي من الله بها على جميع مخلوقاته بغير تمييز وتفرقة يعلبها الانسان ويتجر بها. وكذلك الهواء الذي يحمل الأرواح، والذي وفره الله وملا به أرضه ومعموراته بصورة مجانية يملأه الإنسان في الأنابيب ويتجر به. فعلا تحول هذا الإنسان إلى تلك الحالة الدنيئة التي أشار الملائكة حينما أراد الله أن يجعل خليفة في الأرض بقولهم "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" الآية.

وهناك بعض اللجان البيئية التي تمارس الفعاليات المتنوعة تعمل ليل نهار لأجل المحافظة على هذه الأرض وثرواتها الطبيعية النباتية والحيوانية، ولأجل حماية غاباتها وأشجارها. هذه الجهود مشكورة ومحمودة إذا كانت منبعثة من الإخلاص ومن حسن النية. وأما إذا كانت لترويج فكراتهم المخبوءة أو لنشر نظريات لجانهم تكون ملومة و مذمومة، كما نرى في ولايتنا كيرالا.

و كان النبي ﷺ يصدر تشريعات لحفاظة الثروة الحيوية حيث نهى عن قتل الحيوانات والدواب إلا في الظروف المجوزة لذلك. فحينما سمع النبي ﷺ عن بعض صيادي الضفادع حظره حظرا شديدا وقال " لا تقتلوا الضفادع فإن نقيحها تسبب". ومرة حينما أخبر عن قتل العصافير قال "من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة يقول يا رب إن فلانا قتلني عبثا ولم يقتلني منفعة" (رواه النسائي وابن حبان) وليس في هذا الكون شيء إلا يسبح الله ويقدهسه. وفي النظرية النبوية البيئية الطيور والبهائم والأشجار والأنهار حتى الديدان والأعشاب وكل ذرة حقيرة كلها يكون هذه البيئة ويذكر الله ويسبحه. فالاعتداء عليه اعتداء على النظام الكوني والتوازن البيئي الذي أحكمه الخالق القدير.

هناك وقائع عديدة تدل على رحمة الرسول ﷺ التي لا تتضب ولا تجف. وكان ينهى عن جعل ظهور البهائم كراسي ويأمر أن تقلم الأظفار قبل أن تحلب الدواب لئلا تأثر وتجرح الضروع. وكان يعرف مكانة الكائنات ودورها في الاستقرار الطبيعي. وكان ﷺ يقص على صحابته قصص الحيوانات والحشرات الصغيرة مثل النملة و النحلة وممالكها العجيبة وأساليب حياتها المنتظمة، وفي النهاية ينصحهم على احترام جميع هذه الحيوانات والاعتبار منها.

حينما يقف الإنسان حائرا أمام المشكلات البيئية المتراكمة نتيجة تدخلاته السلبية الوخيمة ونتيجة إفساده في هذه التربة النقية والمياه المطهرة الطبيعية تصديقا للقول الإلهي المقدس "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس" الآية، وحينما يفشل كثير من المحاولات واللوائح المتخذة لأجل حماية هذه الأرض المتلوثه والتربة المقذورة حيث إن دستورنا الهندي نفسه ينبه المواطنين في مادته الثامنة والأربعين على ضرورة الحفاظ على هذه البيئة، وينبه الحكومة على مسئولية توعية السكان عن أهمية البيئة وضرورة تربيته، واجب علينا أن نمشي نحو تسليم (Islamization) المعرفة البيئية وتطبيق النظرية النبوية البيئية.